



الأحد 16 يونيو 2024 10:50 م

تحدثنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فتقول: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبيّ صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "دعهما" فلما غفل غمزتهما فخرجتا]

وغير بعيد من الحجرة الشريفة كانت هناك احتفالية أخرى تحدثنا عنها عائشة متممةً لسياق حديثها المتقدم فتقول: وكان يوم عيد يلعب السودان بالذّرق والجرّاب، فإذا سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم وإما قال: "تشتهين تنظرين"؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، دَخِّي على خَدّه، وهو يقول: "دونكم يا بني أرفدة" (لقبٌ للحبشة) حتى إذا قَلَبْتُ قال: "حسبك" قلت: نعم، قال: "فاذهبي" (رواه البخاري ومسلم في كتاب العيدين من صحيحهما واللفظ للبخاري).

* وفي موضع آخر قريبٍ من الحجرة النبوية تنشأ احتفالية بهيجة بالعيد تولى شأنها عدد من الأطفال في أناشيد رائعة وبديعة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام:

تقول السيدة عائشة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فسمعنا نَغَطًا وصوت صبيان! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا حبشية تزمن (تتمايل وتلعب) والصبيان حولها، فقال: "يا عائشة تعالي فانظري" فجئتُ فوضعتُ لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: "أما شبعت؟ أما شبعت؟" قالت: فجعلت أقول: لا؛ لأنظر مُنْزَلْتِي عنده، إذ طلع عمر، قالت: فارفضُ الناس عنها، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرّوا من عمر" قالت: فرجعت". (رواه الترمذي).

* وعندما نحاول معرفة طرف من تلك الأناشيد وكلماته فإنها كانت بلغاتهم، حتى إن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يستفهم عن معانيها، ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أنس بن مالك أن الحبشة كانوا يزفنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بكلام لا يفهمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يقولون؟" قالوا: يقولون: محمد عبدٌ صالح]

استنبط العلماء مما تقدم فوائد عديدة منها:
*** مشروعية التوسعة على العيال في أيام الاعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن:**

وإذا كان الشخص بسبب كبره أو مكانته ووقاره لا يميل إلى الترويح والترفيه وهذا لائقٌ به، إلا أن الآخرين وخاصة الأهل والأولاد ومن هم في مقتبل العمر يحبون ذلك ويميلون إليه، فينبغي أن يمتدوا من هذا الرغبة الفطرية في إطار ما أباحتها الشريعة]

*** إظهار السرور في الأعياد من شعار الدّين:**

ولذلك لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم غناء الجاريتين الصغيرتين لم يمنعهما بل أفرهما، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع أبا بكر يريد منعهما قال: "دعهما" وفي رواية أخرى قال: "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا" وفي رواية في المسند أنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: "لَتُعَلِّمَ اليهود أنّ في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة".

*** الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها:**

فإنها مجبولةٌ على المشاعر المرهفة والعواطف الرقيقة، ويحصل ذلك بتلبية رغباتها الفطرية ومطالبتها الاعتيادية ما دامت مباحة، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في هذا الباب وبيوته الكريمة زاخرة بمظاهر الإحسان والتودد والوفاء لأمهات المؤمنين] وفي مشهد التقارب والتآلف الذي وصفته أم المؤمنين "دَخِّي على خَدّه" وما يتضمنه من التلاحم الوجداني والتواصل الروحي ما يؤكد أن العيد فرصة لللممة ما لعله يكون تبعثر من أجزاء الصورة الزاهية لبيت الزوجية]

* تقدير حاجات صغار السن:

ففي وقوف المصطفى صلى الله عليه وسلم مع عائشة وهو من يُعرف عظيم قدره وجلال شأنه وضخامة مسؤولياته من أجل لهو عائشة وترويحها عن نفسها درس للآباء والإخوة والأزواج من أجل تحقيق هذه التوجه لدى الفتيات، ولذا كانت عائشة تقول: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو أي: قدّروا رغبتنا في ذلك إلى أن تنتهي الواحدة منا وتقضي نهمتها من ذلك وقد وجد بالاستقراء أن التحجير على الأهل والذرية ومنعهم من نيل حاجاتهم من الترفيه والترويح يرجع بنتائج عكسية وبخاصة في المجال النفسي والاجتماعي

* الالتزام بالمنهج الشرعي والتربوي:

فاللهو والفرح لا يبرر ارتكاب المحرمات ولا الإخلال بالواجبات ولا التسبب في أذى أحد من الناس ، وهذا ما تلمح إليه السيدة عائشة في قولها: كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنظر أنظر وتوضحه أيضًا بوصفها للجاريين بأنهما صغيرتان ولم يكن الغناء لهما بعادة، إنما هو نشيد وأهازيج سامحت به الشريعة لتوافق المناسبة